سلسلة تفريغات

فضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام رطاهري

(حفظه الله تعالى)

الدورة التأصيلية في علم العقيدة

المستوى الثاني

كتاب التوحيد

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي

رابط قناة الدورة في التليجرام

رابط الموقع الرسمي

ملحوظة: الشيخ لم يطلع على التفريغ

لأي ملاحظة يرجى مراسلتنا على البريد الإلكتروني

Drabosalahm1@gmail.com

http://www.drabosalahm.com

@DrAboSalahM

الرجال +965 50110130
النساء +965 97537184

شرح كتاب التوحيد- المجلس الثَّالث عشر

الحمد لله رب العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارَك وأنعَم على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد...

فهذا هو المجلس الثالث عشر من مجالس قراءتنا لكتاب [**التوحيد**] ضِمْن الدورة التأصيلية الأُولى في علم العقيدة، ونحن في مساء السبت الثالث عشر من شهر الله رجب عام ١٤٤٤ من هجرة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كُنَّا قد وقفنا على الباب الثلاثِين: **بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى**: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٦٥]؛ فنبدأ على بركة الله، ونسأله جَلَّ وَعَلَا أن يرزُقنا وإيَّاكم العلم النافع والعمل الصالح.

المتن:

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

اللهمَّ اغفر لنا ولشيخنا ولمشايخه وللحاضرِين أجمعِين.

قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٦٥].

وَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [سورة التوبة، من الآية:٢٤]. الْآيَةَ.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**». أَخْرَجَاهُ.

وَلَهُمَا عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: «**لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى....**» إِلَى آخِرِهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «**مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللهِ، وَوَالَى فِي اللهِ، وَعَادَى فِي اللهِ؛ فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللهِ بِذَلِكَ، وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ - وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ- حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا، وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا**». رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٦٦]؛ قَالَ: الْمَوَدَّةُ.

الشرح:

مناسبة هذا الباب: أنَّ المُصنِّف رَحِمَهُ اللَّهُ ذَكَرَ بعض الأعمال التي تُناقض التوحيد، وذكَرَ بعض الأقوال التي تُناقض التوحيد، وأنَّه يجب البُعْد عن ذلك؛ فناسَبَ أن يَذكُر بعض الأعمال القلبية المناقضة للتوحيد، ومن أعظم الأعمال

القلبية المناقضة للتوحيد: حبُّ الأنداد، حبُّ الطواغِيت، حبُّ شيءٍ كحبِّ الله عَزَّوَجَلَّ؛ هذا عملٌ أيش؟ قلبي.

والحبُّ -كما هو معلوم- ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

حبٌّ تعبُّديٌّ: هذا الذي يقولون عنه: في الله، لله. وأُسُّ هذا الأمر حبُّ الله عَزَّوَجَلَّ، وأصل هذا الأمر حبُّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وحبُّ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حب دِيني، والحبُّ في الله ولله تبعٌ لهذا الأصل.

وهذا ينقسم إلى قِسمين:

✸ **الأول: أصل المحبَّة**: فهذا لا بد منه لصحة الإيمان؛ فلا يُتصوَّر أن يكون إنسان مؤمن وفي قلبه بُغضٌ للنبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ولو أيش؟ ولو ذرة؛ لا بد من فناء البُغض ووجود شيءٍ من المحبَّة، لا يُتصوَّر وجود الإيمان مع وجود بُغْض شيءٍ في قلب الإنسان لله عَزَّوَجَلَّ لا يُتصوَّر.

لمَّا نقول: «المحبَّة أصل الإيمان»؛ فماذا نعنِي به؟ نعني: وجود شيءٍ من المحبَّة التي تنفِي مُطلَق البُغض؛ هذا لا بد منه في صحة الإيمان.

✸ **النوع الثاني: كمال المحبَّة**: وكمال المحبَّة علامة كمال الإيمان، إذا فهِمْتَ هذا التفصيل فأنت ستفهم بعد ذلك معنى ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [سورة التوبة، من الآية: ٢٤]؛ في محبوب، في أحبَّ؛ ماذا تُقدِّم؟

مثلًا: **إن كان إيمانُك كاملًا**: تُقدِّم الأحبّ على المحبوب ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾.

إذًا... المحبَّة القلبية أُسُّها وأساسُها حبُّ الله عَزَّوَجَلَّ، حبُّ رسوله، حبُّ دِينه، وتبعٌ لهذا الحب: الحبُّ في الله ولله؛ فينقسم إلى قسمين:

أصل المحبَّة: التي لا بد منها لصحة الإيمان.

والمحبة الكاملة أو كمال المحبَّة: التي تكون من أدلَّة كمال الإيمان.

ننتقل إلى النوع الثاني من أنواع المحبَّة: **الحبُّ الطَّبْعِي**.

طالب: .....

الثاني، لا ما في ثالث؛ أنَّ الحب الأول التعبُّدِي ينقسم إلى قسمين، ما لنا علاقة، إحنا قلنا: الحب نفسه ثلاثة أقسام:

- **حبٌّ تعبُّديٌّ**: وينقسم إلى قسمين:

حبٌّ طبعيٌّ: ومن حيث حُكمه ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

❁ **مباح**: كحُب النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ للعسل

مباح: كحُبِّك للثوب الحسن، والنَّعل الحسن؛ قال الصحابي: يا رسول الله، إنَّ أحدنا يحبُّ أن يكون ثوبه -«**يُحبُّ**» قال: يُحبُّ. ولَّا لا؟ أطلَقَ الحُبّ- يحبُّ أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنًا. صح؟ لاحظ!

إذًا... الحبُّ الطبعيُّ ينقسم إلى ثلاثة أقسام من حيث الحُكم:

❁ **مباح**: عرفنا له مثالَيْن.

❁ **القِسم الثاني: مُحرَّم**: وهو أن يُقدِّمه الإنسان على أمر الله ورسوله، يُقدِّم المحبوب الطَّبْعي على أمر الله ورسوله؛ شو يصير؟ مو شِرْك؛ بس شو يصير؟ مُحرَّم.

مثال ذلك: أحبَّ مسلمٌ مشركةً، أَحَبَّ مسلمٌ هندوسيَّةً يريد أن يتزوَّج منها، أَمْر الله ورسوله أنَّه لا يجوز للمسلم أن يتزوَّج المُشركة غير الكتابيَّة. صح؟ فإذا تزوَّجها يقول: أنا أحبُّها. ما تقول له: شِرْك. صدق ولَّا لا؟ حرامٌ ما فعلته.

طالب: .....

لا، ما يصح الزواج؛ لكن هو يقول: أنا تزوَّجتها. هو يقول.

واضح هذا الكلام؟ أيش نسمِّي هذا الحب؟ مُحرَّم.

مثالٌ آخر: الرجُل يحبُّ أن يتمتَّع ببُستانه في شهر نُضْج الثمار كالشهر السابع يوم يخرُج التمر والرُّطَب، فأَمَرَ الله بالجهاد والسَّيْر إلى تبوك، مع وجود الحرّ، المشقَّة، ووجود زِينة الثمار من جهةٍ أخرى، فالرجُل أُعجِبَ بثماره وتقاعَسَ عن الخروج مع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ صار أيش أحبّ إليه؟ الثمار، البستان ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ﴾؛ فماذا قال الله؟ ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾.

هذا الحب مو شِرْك؛ أيش نسمِّيه؟

طالب: .....

حرام. إذًا وقَعَ الرجُل في الحرام.

نضرب مثال آخر ونكتفِي: أنت تحبُّ زوجتك وإذا بها تأمُرك أن تُسبِل ثوبك فأطعتها. لاحظ الآن! هذا مُحرَّم، طاعة غير الله ورسوله مُحرَّم في المعاصي. ولَّا لا؟ واضح؟

هذا النوع شنو قلنا؟ المُحرَّم، اللي هو الثاني. صح؟

النوع الثالث: هو الحب الطبعيّ الذي ينقلبُ إلى الشِّرْك: صعبة هذه؟ لا، ما هي صعبة. أيشلون؟

يعني: أنَّ الإنسان يصل بحُبِّه إلى درجة يُحلِّل الحرام ويُحرِّم الحلال. واضح هذا؟

طيب هنا سؤال: هل حبُّه هو الشِّرك ولَّا تحليله وتحريمه؟

طالب: .....

أحسنتَ! تحليله وتحريمه؛ لكن الحبَّ كان دافعًا وسببًا؛ لهذا سمَّيْناه: الحب الطبعي الذي يؤدِّي إلى الشِّرْك. هذا واضح؟ مسألة مهمة ترى.

يعني مثلًا: إنسان تقول له: لماذا لا تأكُل العسل؟ انتبه! قال: العسل حرام. ليش حرام؟ قال: حبِّي لزوجتي جعلني أُحرِّم العسل. انتبه! فحرَّم شيئًا أحلَّه الله؛ فوقَعَ في الكُفر والشِّرك. حب طبعِي لزوجته أدَّى به ووصَّله إلى التحليل والتحريم. واضح؟

طيب... نأتي إلى مسألة أخرى وهي: إذا تنازَعَ الحب الطبعي مع الحب الشرعي؛ ماذا يجب على الإنسان أن يُقدِّم؟

يجب عليه أن يقدِّم الحب الشرعي، وهذا التقديم دليل كمال الإيمان الواجب، إذا تعارَضَ الحب الدِّيني والحب الطبعي فقدَّمَ الحب الدِّيني؛ فهذا دليل كمال الإيمان الواجب.

مثال ذلك: أمَرَ الشارع بالقيام لصلاة الفجر في المسجد، وأدائها في المسجد بالنسبة للرجال، فقام الرجل وهو يحبُّ النوم فجاء إلى المسجد مع حبِّه للنوم ودفء فراشه؛ فدلَّ ذلك على أيش؟ الإيمان، كمال الحب الإيماني، تَرَكَ المحبوب الطبعي لأجل المحبوب الشرعي.

وعكسه... لو قدَّم المحبوب الطبعي على المحبوب الشرعي؛ دلَّ ذلك على نُقصان الإيمان في الكمال الواجب. هذه القضايا مهمة لا بد أن ننتبه لها!

ننتقل الآن إلى: **الحب الشِّرْكي**: ما هو؟

إحنا تكلَّمنا عن «الحب التعبُّدي» النوع الأول. صح؟

تكلَّمنا عن «الحب الطبعي»؛ قلنا كم قِسم الحب الدِّيني؟ اثنين.

والحب الطبعي من حيث حُكمه كم قِسم؟ ثلاثة أقسام.

ننتقل الآن إلى: **الحب الشِّركي**: ما هو الحب الشِّركي؟

الحب الشِّركي: هو حبُّ الكُفر والكافرين، حبُّ الشِّرك والمشركِين حبًّا يطغَى على حب الشرع، أو حُبًّا يطغَى على حب الله ورسوله.

يعني: الآن لو سألنا سائل: لماذا المشركون عندهم شِرك في الحب؛ يحبُّون الله عَزَّوَجَلَّ ويحبُّون الأولياء؛ فلماذا فِعلهم شِرْك؟

قلنا: لأنَّ حبَّهم للأولياء طاغٍ على حبِّهم لله بدليل تقديمهم محابَّهم للأولياء على أَمْر الله ورسوله، هذا الحب الشِّركي هو الذي قال الله عَزَّوَجَلَّ عنه، وبوَّبَ عليه المصنِّف: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٦٥]؛ يقول: أحبُّ الولي كما أحبُّ الرب العلي. انتبه!

لو أنَّ إنسانًا أحبَّ أي شيءٍ مثل حب الله؛ وقَعَ في الشِّرْك في المحبَّة، وين الشِّرك في المحبَّة؟ في التسوية، لا يجوز أن يصل إلى مرتبة حب الله شيءٌ من المخلوقات.

الحبُّ الطبعي: أباحه الله عَزَّوَجَلَّ لك.

الحبُّ في الله ولله: جعَلَه الله عبادةً لك.

أمَّا أن تصل إلى مرتبة تساوِي حبَّ الغير مع حبِّ الله؛ هذا هو الشِّرْك، أيًّا كان الغير، كان وليًّا، كان مَلَكًا، كان مَلِكًا، كان نبيًّا، كان جمادًا، كان قبرًا؛ ما لنا علاقة في الموضوع.

إذًا... ما معنى الحب الشِّركي؟

تسوية غير الله بالله في المحبَّة؛ فكيف إذا كان أعظم؟!

مرة ثانية... **ما هو الحب الشِّركي؟**

تسوية غير الله بالله في المحبَّة؛ فكيف إذا كان أعظم؟! هذا شِركٌ في المحبَّة.

إذًا... لو سألَكَ سائل قال: أنا أحبُّ الولي، وحبُّ الله عَزَّوَجَلَّ أعظم!

هذا ليس حبًّا شركيًّا. واضح؟

طيب... تحبُّ الولي؛ لماذا؟ قال: لأنَّه من أولياء الله. ما في بأس.

لكن لو قال: أحبُّ الولي كحُبِّ الله. وقَعَ في شِرك المحبَّة. واضح؟

هذا التقسيم لا بد منه؛ لماذا؟ لنعرف كيف نُنزِّل الأحكام، لا تلخبِط! إذا لم تضبط هذا تجعل التعبُّدي مباحًا والمباح تعبُّديًّا، والشِّرك مباحًا والمباح شِركيًّا، وتلخبط الأحكام؛ فيَرِد عليك الإشكالات.

كثير من الناس يقولون: أنتم تقولون: بُغض المشركِين يُنافِي أصل التوحيد.

نقول: نعم، بُغض المشركِين من كمال أصل التوحيد -لاحظ-، بُغض الشِّرك من أصل كمال المحبَّة.

ثم يقولون: طيب وأنتم تقولون: يجوز للرجل يحبّ زوجته النصرانيَّة!

قلنا: يا أخي، أحبَّه للزوجيَّة مو هو لشِركها؛ فَرْق بين الأمرين.

فإذا أحبَّ الإنسان شيئًا ما لكُفره وشِركه؛ صار هنا الحبُّ شِركيًّا:

أنت تحبُّ الكافر لكُفره: وقَعْتَ في ماذا؟ في الكُفر، كيف تحبُّ شيئًا يُبغضه ربُّك الذي أنت تحبُّه بذلك؟! انتبه لهذه القضايا!

أوردَ المصنِّف هذا الباب بالآية بآية «البقرة» ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾؛ الكاف هنا للتشبيه.

وهذا التشبيه لو قال لك قائل -فائدة لغويَّة-: ما الفَرْق في التشبيه بين كلمة «الكاف» وبين كلمة «مثل»؟ مَن يعرف الجواب؟ يعني: لمَّا أقول: (زيدٌ كالأسد)، ولمَّا أقول: (زيدٌ مثل الأسد).

طالب: ..... (١٩:٤٠).

إذًا... يمكن أن تقول بعبارة أخرى:

الكاف: لمُطلَق التشبيه.

والمثل: تشبيهٌ في وجهٍ مُعيَّن.

ولذلك هنا قال: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾؛ ما قال: «يحبُّنهم مثل حبِّ الله»؛ فصار أي نوع حبٍّ يكون كحبِّ الله؛ فهذا نوعٌ من أنواع الشِّرْك. فانتبه!

ثم في تكملة الآية ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٦٥]؛ لو قال لكم قائل: لماذا المؤمن أشدُّ حبًّا لله من حبِّ الكافر لله؟

فتقول: من وجهين:

الأول: لماذا المؤمن حبُّه أشدُّ لله من حبِّ الكافر أو المُشرِك؟ من وجهين.

طالب: ..... (٢٠:٤١).

لا؛ من وجهين:

الوجه الأول: أنَّ حبَّ المؤمن خالصٌ، وحب المُشرِك مشُوبٌ، مُختَلَط مع الغير. ولَّا لا؟ هذا واضح ولَّا لا؟

الوجه الثاني: أنَّ لوازم المحبَّة في المؤمن أظهَر من لوازم محبَّة المُشرك لربِّه فإنَّها خفِيَّة بسبب حُبِّه لغير الله؛ فتجد المؤمن مُطِيع لله عَزَّوَجَلَّ، ممتثِل أوامره. هذا الوجه الثاني.

إذًا... المؤمن مُلتزمٌ بآثار المحبَّة، والمُشرِك تخفَى آثار المحبَّة لأنَّ حبَّ مشُوب.

وأورد آية «سورة التوبة» ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ﴾؛ فذَكَرَ كم شيء؟ عِدَّها معي! ﴿ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ﴾؛ ثمانية محبوبات، ولا تخرُج المحبوبات عن هذه الثمانية ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [سورة التوبة، من الآية:٢٤]؛ هذه المحبوبات الثمانية مُباحة ولَّا لا؟

مباحة. إذًا لماذا قال: ﴿أَحَبَّ﴾؛ ولم يقُل: «لا تُحبُّوها»؟

لأنَّ هي مُباحة؛ فليس المطلوب مِنَّا نَفْي المحبَّة عنها؛ ما المطلوب منَّا؟ المطلوب منَّا أنَّها إذا تعارضَتْ مع أمر الله ورسول، مع حبِّ الله ورسوله؛ نُقدِّم حبَّ الله ورسوله على هذه المحبوبات.

قالت لك زوجتك: لا تخرُج للدرس، تعالى ودِّنا البَر. تقول لها: والله الدرس أحبُّ إليَّ من البرِّ. قدَّمْتَ المحبوب.

﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ﴾. ﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ﴾؛ هذا ذِكر نوعٍ من أنواع الشرع؛ وإلَّا فالمقصود عموم الشرع.

﴿وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾؛ دلَّ على أنَّ تقديم المحبوبات المُباحة على أمر الله ورسوله كبيرةٌ من كبائر الذنوب؛ وإلَّا ليش يستحقُّون الوعيد؟ واضح؟ كبيرة من كبائر الذنوب.

وأورَدَ حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: (**أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ**: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»)؛ في التفصيل اللي ذكرْناه في ابتداء الباب أيش قلنا؟ أصل الإيمان نكتفي فيه بأصل المحبَّة. صح؟ أصل المحبة الله، ومحبَّة الرسول.

ما علامة أصل المحبَّة؟ عدم وجود بُغض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولو في شيءٍ من الأشياء. هذه علامة وجود أصل الإيمان، هذا القَدْر لا بد منه لصحَّة الإيمان.

لكن حديث أنس لا يتكلَّم عن هذا القَدْر؛ يتكلَّم عن ماذا إذًا؟ يتكلَّم عن المحبَّة الواجبة مو عن أصل المحبَّة:

المحبَّة الواجبة التي بها يكتمل الإيمان.

المحبَّة الواجبة التي هي كمال الإيمان.

المحبَّة الواجبة التي هي من واجبات الإيمان.

(**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**)؛ هذا وجه في الحديث.

إذًا ما معنى (**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ**)؟ ما معنى نَفْي الإيمان هنا؟

الإيمان الواجب، الكمال الواجب. جميل!

إذًا... معنى هذا: لا تَصِلُ أيُّها المسلم، أيُّها المسلمة لا تصلُ إلى مرتبة كمال الإيمان الواجب حتى يُصبح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحبَّ إليكَ من ولدِكَ ووالدِكَ والناس أجمعِين. واضح؟ هذا وجه في معنى حديث أنس.

وهناك وجه آخر لطيف، وإن لم يَذكُره أكثر الشُّرَّاح لكنَّه جليٌّ ذَكَرَه بعضهم، وهو: لا يحصُل في قلبك الإيمان الواجب حتى تُقدِّم محبوب الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على محبوب والدَيْك ووالدكَ والناس أجمعين.

إذًا هذا في حال أيش؟ التعارُض.

إذًا... الحديث يحتمل المعنيَيْن؟ نعم، يحتمل المعنيَيْن:

في حال التعارُض: إذا كان إيمانُك كاملًا فأنت تُقدِّم محبَّة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ولدك ووالدك والناس أجمعِين.

وإذا لم يوجد تعارُض: فحُبُّك للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد وصَلَ إلى مرتبةٍ أنَّه صار فوق حبِّك لأبِيك، وفوق حبِّك لأُمِّك، وفوق حبِّك لزوجك، وفوق حبِّك لولدك. معنى واضح. هذه فائدة لطيفة في الحديث.

وأورَدَ أيضًا حديث أنس في الصحيحين (**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ**)؛ الإيمان كما قرَّرنا مِرارًا.....

طالب: الإيمان الواجب معناه: أنَّ أقل من هذا القَدْر يَأثَم صاحبه؟

لا، لا يأثَم:

- يمكن يكون يأثَم.

- يمكن يفسق.
- يمكن يكون ظالم.

المهم إنَّه ينزل عن مرتبة الإيمان إلى مرتبة الإسلام.

فإذًا حينئذٍ إذا نزَلَ:

- قد يكون يُسمَّى «مسلمًا».
- قد يُسمَّى «فاسقًا».
- قد يسمَّى «ظالمًا».

بحسبه.

طيب الآن سؤال: ذكَرْنا مرارًا وتكرارًا الإيمان:

له أصلٌ: يساوِي الإسلام. صح؟

وله كمالٌ واجب: يساوِي الإيمان.

وله كمالٌ مستحب: يساوِي التقوَى والإحسان.

متى يُدرك الإنسان حلاوة الإيمان؟ سؤال!

في أصل الإيمان: لا يُدرك الإنسان حلاوة الإيمان.

بأصل الإيمان: لا يُدرك الإنسان حلاوة الإيمان؛ وإنَّما يبدأ نُضْج شجرة الإيمان في قلبه بعد أن يرتقِي إلى الوصول إلى واجبات الإيمان، فيبدأ شيئًا فشيئًا يحسُّ بلذة الإيمان.

ثم يرتقِي حتى تنضُج الثمار فيَرَى الحلاوة في لسانه، وفي قلبه، وفي عَيْنيه، وفي سَمْعه، وفي بصره، وفي بدنه كلِّه يسرِي حلاوة الإيمان في حياته، فلا عينه تَقَرُّ إلَّا برؤية الطاعة، ولا سَمْعه يقرُّ إلَّا بسَمْع الطاعة، ولا يداه تقرَّان إلَّا بالطاعة، ولا قلبه يسكُن إلَّا بالطاعة. الله! هذه شويه صعبة؛ بس نسأل الله أن يُعيننا ونبلُغ هذه المرتبة! واضح؟

طيب لمَّا تسمع حديث (**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ**). (**وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ**)؛ يعني: ابتداء الحلاوة ولَّا انتهاء الحلاوة، ولَّا يشمل الأمرَيْن؟

الصواب: يشمل الأمرَيْن (**وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ**)؛ ابتداءً، ثم إذا رسَّخَ الأمور الثلاث زاد حتى يصل إلى كمال وَجْد حلاوة الإيمان (**وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ**).

ووَجْدُ حلاوة الإيمان قُرَّة العين بالأمر، وانشراحة الصدر بالأمر، والإحساس بنَقْص الإيمان مجرَّدًا بمجرد أن ينقُص، يحسُّ مباشرةً؛ لماذا يحس؟ لأنَّه يفقد الحلاوة الإيمانيَّة.

لذلك ماذا قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؟ «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»، قال: «**أَرِحْنَا بِهَا يَا بِلَال**». لاحظ! هذه قضايا مهمة!

لماذا صار لا يستغنِي عن الاستغفار في اليوم مائة مرة؟ حلاوة الإيمان؟

ما هي هذه الأمور الثلاثة التي إذا كان فيها (**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ**). (**كُنَّ**)؛ من (كان، يكُون)، (**كُنَّ فِيهِ**)؛ يعني: صِرْنَ فيه، صار فيه، ما معنى (**كُنَّ فِيهِ**)؟ صار فيه.

ومعنى الكَيْنُونة: يعني الدَّيْمُومة.

ومعنى الكَيْنُونة: يعني البقاء في هذا المكان.

(وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ).

ما هي هذه الأمور الثلاث؟

بدأ بالأصل: **(أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا)**؛ فأعظم محبوبٍ عندك الله، ثم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم دِينُه، ثم أولياؤه، وهكذا.

وعلامة بلوغ هذه المرتبة ما هي؟ ما هي يا عُمر؟ أن تجعل كلَّ محبوبٍ تبعًا لحبِّ الله ورسوله؛ فتحبُّ أباك إذا رأيته على الطاعة، وينقُص حبُّه في قلبك إذا رأيته على معصية.

تحبُّ زوجك إذا رأيتَ منها الطاعة، وينقُص حبُّك لها إذا رأيتَ منها المعصية.

لا يكون حبُّك وبُغضُك تبعًا لنفسك، بعض الناس؛ ليش تحبَها؟ بس كده على الصورة، هذا ما يُمنَع، هو طبعِي؛ لكن مَن يريد كمال الإيمان يقلب المحبوبات الطبعيَّة إلى محبوباتٍ شرعيَّة.

لذلك يقول ابن القيِّم في قوله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**وَحُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ الطِّيبُ وَالنِّسَاء**»؛ الآن الطِّيب والنساء حبُّهما طبعِي ولَّا دِيني؟

طالب: طبعِي.

طبعِي، بالتأكيد طبعِي؛ كيف قَلَبَهما النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إلى دِيني؟ يقول ابن القيِّم: لأنَّ الطِّيبَ يُطيِّبُ النَّفْسَ والنَّفَسَ فينشرحُ الصدر للذِّكْر وقراءة القرآن،

والمرأة لا سيَّما إذا كانت صالحة تُطيِّب نَفْسَ المؤمن ونَفَسَ المؤمن فيزدادُ إيمانًا. هذا وجهه (**أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**).

(**وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ**)؛ لاحظ! الأول قلنا:

حبُّ الله في أعلى شيء.

ثم حبُّ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم حبُّ دِينه.

ثم حبُّ أوليائه.

وهكذا.

الثاني: (**يُحِبُّ الْمَرْءَ**)؛ و(**الْمَرْءَ**)؛ بمعنى: الشخص (**لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ**).

طبعًا مفهوم المخالَفَة مراد من الحديث (**أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا**)؛ ما هو مفهوم المخالَفة؟ أن يكون عدوُّ الله ورسوله أبغَضَ إليه ممَّا سِواهما، **مفهوم المخالَفة**: مقصودة.

(**وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ**)؛ **مفهوم المخالَفة**: مطلوبة؛ «وأن يُبغِضَ المرء لا يُبغِضه إلَّا لله».

دائمًا افهم من الحديث المنطوق والمفهوم.

(**وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**)؛ إذًا معنى هذا: كُرهه للكُفر والكافرين من أسباب كمال محبَّة الله عَزَّوَجَلَّ، كمال محبَّة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكونه يحبُّ المرء في الله ولله من كمال محبَّته لله،

من كمال محبَّته لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فالأمران الأخيران راجعان إلى الأول.

(وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)؛

مفهوم المُخالَفة: وأن يُحبَّ أن يثبُت في الإيمان بعد إذ هداه الله عَزَّوَجَلَّ. انتبه! هذا المعنى مطلوب؛ وأن يحبُّ أن يُثبِّته الله على الإيمان بعد إذ أنقذه الله من الكُفران.

هناك في البُغض: **(كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ)**.

في الحب: كما يحبُّ أن يدخُل الجنة. نسأل الله أن نكون منهم!

(وَفِي رِوَايَةٍ: «لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»).

وقلنا: **(لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ)**؛ النَّفْي لماذا؟ متى يكون؟ عند فَقْد واجبات الإيمان.

فإذا كان مَن فَقَدَ واجبات الإيمان لا يجد حلاوة الإيمان؛ من باب أَوْلَى مَن فَقَدَ أصل الإيمان لا يحسُّ بحلاوة الإيمان. صح ولَّا لا؟ هذه قضية مهمة!

أوردَ حديث ابن عباس وفيه: **(مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ)**؛ لاحظ! قَلَبَ المحبوبات الطبعيَّة وجعلها تابعةً للمحبوبات التعبُّديَّة. الله!

(مَنْ أَحَبَّ فِي اللهِ، وَأَبْغَضَ فِي اللهِ)؛ وهُما متلازمان.

(**وَوَالَى فِي اللهِ**)؛ ما معنى (**وَالَى**)؟ يعني: نَصَرَ. ما معنى (**وَالَى**)؛ هنا؟ نَصَرَ وعاوَنَ.

(**وَعَادَى فِي اللهِ**)؛ فالبُغض والحبُّ عملان قلبيَّان.

والمُولاة، والمعاداة ظاهران هنا.

(**فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللهِ بِذَلِكَ**)؛ (**تُنَالُ**) أو (**تَنَالُ**):

إذا قلنا: (**تُنَالُ**)؛ مبنِي لِمَا لم يُسمَّ فاعلًا.

أو (**تَنَالُ**)؛ أنت (**وَلَايَةُ اللهِ بِذَلِكَ**). يجوز.

(**فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللهِ**)؛ بفتح الواو، «الوَلاية» بالفتح، «الولِي» بالفتح؛ بمعنى: المحبوب.

«الوِلاية» بالكسر؛ بمعنى: الإمارة والحُكم.

(**فَإِنَّمَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللهِ بِذَلِكَ**).

(**وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ**)؛ هنا قال: (**طَعْمَ**)؛ هناك قال: (**حَلَاوَةَ**)؛ وهُما متلازمان:

فمَن وَجَدَ الطَّعم: عَرَفَ ذَوْقه.

ومَن وجَدَ حلاوته: فقد وجَدَ طعمه.

(**وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ**)؛ يا الله! العِبرة ليسَتْ بكثرة الصلاة والصيام فقط؛ العِبرة في أمران متلازمان:

صلاح الظاهر.

وصلاح الباطن.

وصلاح الباطن مؤثِّرٌ على صلاح الظاهر، وصلاح الظاهر مؤثِّرٌ على صلاح الباطن.

هذا كلام ابن عباس: **(وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا)**؛ ولا حول ولا قوة إلَّا بالله! يُعينه لأنَّه شريكه في الدنيا فقط، لو يجيه فقير ولو كان من أحبِّ عباد الله لا يعينه -مثلًا-؛ يُقرضه لأنَّه من معارِفه.

ولو يأتيه رجُلٌ معروفٌ بديانته يطلُب منه قرضًا؛ ما أعطاه.

(وَقَدْ صَارَتْ عَامَّةُ مُؤَاخَاةِ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا)؛ ولا حول ولا قوة إلَّا بالله!

(وَذَلِكَ لَا يُجْدِي عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا». رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ).

(وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمَا- فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٦٦]؛ **قَالَ: الْمَوَدَّةُ)**؛ المحبَّة. لماذا أورَدَ المصنِّف وختَمَ هذا الباب بهذا التفسير؟

للتنبيه على أهمية أن تجعل محبوباتك محبوباتٍ لا تنقطع؛ كيف لا تنقطع؟

إذا كانت في الله ولله: لا تنقطع.

إذا كانت للدنيا: تنقطع.

﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾؛ المودَّات الدنيوية.

كان شريكك يوم القيامة تفِرُّ منه؛ لأنَّها ما كانت لله وفي الله، لو كانت في الله ولله لا تفرُّ منه.

ولذلك في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [سورة عبس، الآيات:٣٤-٣٦]؛ جمْعٌ من المفسِّرين يقول: هذا في حقِّ الكَفَرة والمشركِين، والفَسَقة من المسلمين؛ لا في حقِّ الطائعِين المؤمنين. الله! شيء عجب! انتبه يا عبد الله!

المتن:

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: **فِيهِ مَسَائِلُ:**

- **الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ «الْبَقَرَةِ».**

الشرح:

قد بيَّنَّا معناها.

المتن:

- **الثَّانِيَةُ: تَفْسِيرُ آيَةِ «بَرَاءَة».**

الشرح:

آية «براءة»، فسَّرناها، تسمَّى «آية المحبوبات الثمانية». لا تنسوها!

المتن:

- **الثَّالِثَةُ: وُجُوبُ مَحَبَّتِهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى النَّفْسِ وَالْأَهْلِ وَالْمَالِ.**

الشرح:

هذا القَدْر واجب عليك، مو مندوب؛ واجب عليك. انتبه!

نعم، هو ليس من أصل الإيمان؛ لكن واجب عليك؛ بمعنى: أنَّك إذا لم تحبَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أكثر من نفسك، ولم تَفْدِهِ بنفسِك، لم تَفْدِهِ بأهلِك، لم تَفْدِهِ بمالِك؛ فإيمانُكَ إيمانٌ فاسد. هذا معناه.

ولذلك ينبغي على الإنسان إذا ذُكِرَ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وقال -مثلًا- في معرِض مَن يذُمُّه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ- يقول: وفِداهُ أبي وأُمِّي وأولادي. لا بد أن يكون صادقًا؛ لأنَّه إن لم يكن صادقًا.....

مثال ذلك: قِيل له: إمَّا أن نُعذِّبَكَ أو تسُبَّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. قال: والله لو قطَّعتُوني لا أسُبّ النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. فهذا معناه: أنَّه صار النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أحَبَّ من نفسه.

المتن:

- **الرَّابِعَةُ**: أَنَّ نَفْيَ الْإِيمَانِ لَا يَدُلُّ عَلَى الْخُرُوجِ مِنَ الْإِسْلَامِ.
- **الْخَامِسَةُ**: أَنَّ لِلْإِيمَانِ حَلَاوَةً قَدْ يَجِدُهَا الْإِنْسَانُ وَقَدْ لَا يَجِدُهَا.
- **السَّادِسَةُ**: أَعْمَالُ الْقُلْبِ الْأَرْبَعِ الَّتِي لَا تُنَالُ وَلَايَةُ اللهِ إِلَّا بِهَا، وَلَا يَجِدُ أَحَدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ إِلَّا بِهَا.
- **السابعةُ**: فَهْمُ الصَّحَابِيِّ لِلْوَاقِعِ أَنَّ عَامَّةَ الْمُؤَاخَاةِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا.
- **الثَّامِنَةُ**: تَفْسِيرُ ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ [سورة البقرة، من الآية:١٦٦].
- **التَّاسِعَةُ**: أَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَنْ يُحِبُّ اللهَ حُبًّا شَدِيدًا.
- **الْعَاشِرَةُ**: الْوَعِيدُ عَلَى مَنْ كَانَتْ الثَّمَانِيَةُ عِنْدَهُ أَحَبَّ مِنْ دِينِهِ.

- **الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ:** أَنَّ مَنِ اتَّخَذَ نِدًّا تُسَاوِي مَحَبَّتُهُ مَحَبَّةَ اللهِ، فَهُوَ الشِّرْكُ الْأَكْبَرُ.

الشرح:

إذًا... عرفنا ما هو الشِّرْك الأكبر في المحبَّة؟ أن يُحبَّ الإنسان شيئًا ما كحُبِّ الله، هذه هي المحبَّة الشِّركيَّة. انتبهوا لها!

أنَّ من المشركِين مَن يحبُّ الله حبًّا شديدًا؛ لكن حب المُشرِك الشديد لله دون حُبِّ الموحِّد لله، قد بيَّنَّا وجه ذلك من الوجهَيْن.

المتن:

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

[سورة آل عمران، الآية:١٧٥].

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [سورة التوبة، من الآية:١٨]. الْآيَةُ.

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية:١٠]. الْآيَةُ.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ، وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللهِ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ؛ إِنَّ رِزْقَ اللهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ؛ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ؛ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ**». رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «**صَحِيحِهِ**».

الشرح:

مناسبة هذا الباب للباب السابق واضحة وجلِيَّة:

من جهة أنَّ الحبَّ عمل قلبي، والخوف عملي قلبي.

وأيضًا من جهة أنَّ الحب ينقسم إلى ثلاثة أقسام -كما ذَكَرْنا-؛ الخوف ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

✸ **خوفٌ تعبُّدي**: وهو الخوف من الله عَزَّوَجَلَّ، خوف السِّر، هو لم يَرَ الله لكنَّه يخافه؛ يخافه لماذا؟ لقُدرته، لقوَّته، لعظمته، لكِبريائه، وهكذا.

✸ **وهناك خوفٌ طَبْعي**: بطبيعة الحال إنسان إذا رأى -مثلًا- أنت يمكن ما تخاف من الفأرة؛ لكن الحُرمة تخاف من الفأرة.

مثلًا: يمكن تخاف من الأسد. ولَّا ما تخاف؟ أكيد في ناس ما يخافُون مثل خادم الوليد؛ فأين لي بهم؟ صعبة ولَّا لا؟

والله يَذكُر لي أحد المشايخ ممَّن دَرَسَ مع الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: كان والدك جالس على قفاه والكتاب بين يدَيْه يذاكر. يقول: وأنا جالس أمامه وأُذاكر، يقول: فسَقَطَ من السقف -السَّقف عندهم خشب يدخُل فيه أي شيء- عقرب على صدره. يقول: أنا قلت الحين: هذا الشيء بيسوي يقول: بس هو قاعد يقرأ الكتاب أحسّ إن في شيء سَقَط، أخَذَه ورماه، قام رجَعَ مره ثانيه يذاكر. يقول: أنا خفتُ وهو ما خاف. الناس مو سواء في الخوف أيش؟ الطَّبعِي.

لكن هناك مهم جدًّا: كيف تُبِيد الخوف الطَّبْعي؟ ترى هذا ممكن. كيف؟ ممكن بالدُّربة والإيمان؛ يعني: أي شيء في المرة الأُولَى يمكن تخاف، بعدين يجي وقت تمسك.

يعني أنا أضرب لك مثال على نفسي: أنا أذكُر وأنا عُمرِي -مثلًا- خمس سنوات أخاف من الحيَّة، أخاف خوف شديد؛ لكن جدِّي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أمسَك بيدي ويروح يمسك الحيَّة، وشويه شويه، شويه شويه إلى أن صار عُمرِي -مثلًا- سبع سنوات أبدًا شفتُ الحيَّة ما أخاف، أروح بنفس الطريقة اللي هو يسوِّيها أسويِّها وأمسك الحيَّة.

طيب الآن كيف ذَهَبَ الخوف؟ أنا هذاك الوقت سبع سنوات لا يُتصوَّر الإيمان عشان نقول: والله في إيمان. صح ولَّا لا؟ كيف زاد؟ بالدُّرْبة.

إذًا... الخوف الطَّبْعيُّ يمكن التغلُّب عليه بالدُّرْبة. هذا باب، وأعظم منه باب الإيمان الذي أُسُّه على القَدْر. تذكَّر هذا الشيء، تذكَّر أنَّه لن يُصِيبك إلَّا ما قدَّر الله؛ ليش تخاف؟ ما في داعي إنَّك تخاف... أبدًا.

إذًا لاحظوا الآن! الخوف:

- قلنا: تعبُّدي.
- وقلنا: طَبْعِي.

الخوف التعبُّدي: قلنا: نفس تقسيمة الحب أصلٌ وكمال:

أصله: أن تخاف من الله عَزَّوَجَلَّ خوفًا لا يوجد معه الأمن. هذا أصلٌ في الخوف. واضح يا أحمد؟

أمَّا الخوف الواجب: فهذا القَدْر يزداد مع الإيمان، فأن تخافه أعظم من كل مخُوفٍ.

طيب. إذا خِفتَ شيئًا كخوفِك من الله: هذا الشِّرْك، اللي قلناه هناك في الحب. صح؟ **ما هو الخوف الشِّركي؟**

أن تخاف من شيءٍ كخوفك من الله. هذا الخوف الشِّركي.

طيب... إذا تعارَضَ الخوف الطَّبعيُّ مع الخوف من الله؛ ماذا نُقدِّم؟

إذا قدَّمْتَ الخوف الطَّبعِي: نزلْتَ من الإيمان إلى الإسلام، دخلْتَ في مرتبة الفاسقِين. انتبه!

إذا قدَّمْتَ الخوف من الله: ارتقَيْتَ في درجة المؤمنين الطَّائعِين.

مثال ذلك: الواحد لمَّا يروح يقاتل؛ يعني مثلًا: قالوا لنا: يلَّا في قتال مع اليهود. في إمكانيَّة أنَّ الإنسان ولَّا ما في إمكانيَّة؟ في، ولو بنسبة ٥٪. ١٠٪ أيًّا كان، ٥٠٪. فالإنسان إذا خاف الآن وما ذهَبَ إلى نداء الجهاد، الآن قدَّم الخوف الطَّبعِي على الخوف من الله؛ أَثِمَ. متى؟ إذا تعيَّنَ في حقِّهم القتال.

نفس القِسمة؛ إذا ضبطْتَ في المحبَّات هناك وأحكامها تضبطُون الخوف هنا وأحكامه:

- **خوفٌ طبعيٌّ:**
  - خوفٌ طبعيٌّ مُحرَّم.
  - خوفٌ طبعيٌّ يؤدِّي إلى الشِّرْك، ومنه خوف السِّر وهو: أن يخاف الإنسان من شخصٍ غير موجود خوفه من الله.

أذكر أنِّي أنا كنتُ أتكلَّم في محاضَرة في المسجد النبوي في الساحة للحُجَّاج، فجاءني شخص قال: يا شيخ، أنت تتكلَّم وتقول: عبد القادر الجيلاني ما يقدر يسوِّي شيء، وأن الأمور بيد الله عَزَّوَجَلَّ؛ لا تخلِّي عبد القادر الجيلاني يغضب يخسف فِيك الأرض.

قلتُ: الله أكبر! يعني الحين عبد القادر الجيلاني أنا في المدينة يخسف فيني الأرض؟! هذه مدينة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، عيب يخسف الأرض في مدينة النبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ، إذا هو قادر خلِّه يخسف الأرض على اليهود.

سكَتَ. قلتُ له: تعالى، شو تعتقد؟ شنو بشر يخسف بك الأرض؟

هذا الخوف الطَّبعِي لو كان عبد القادر الجيلاني حيًّا وهو في العراق وأنا بالمدينة ما يدرِي عنِّي؛ أيشلون أخاف منه؟! هذا خوف السر، خوفُ السِّر خطير.

أورد المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الباب بالآية ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران، الآية:١٧٥]. واضح؟ ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾؛ هذه مسألة عظيمة يا إخوة! سبحان الله العظيم!

الشيطان دائمًا يُخوِّف أولياءه: إذا آمنتُم يصير فيكم كذا وكذا وكذا.

إذا أطَعْتَ الله يصير فيك كذا كذا كذا.

فيُخوِّف الفاسق لأجل ألَّا يُطِيع الله، ويُخوِّف السُّنِّي لأجل ألَّا يدعُو إلى الله؛ فهو شغَّال في التخوِيف، من أعظم حبائل إبليس التخويف. فاحذَر!

يُخوِّفك يقولك: وضوءك مو صحيح مو صحيح، يخوِّفك صلاتك مو صحيحة؛ قل له: أنت مو شغلك. ليش تخاف منه؟

انتبه! أعظم وسيلة من وسائل إبليس يلعب فيه مع الناس لا سيَّما العُبَّاد وأهل العلم والطاعة أنَّه يخوِّفهم: وضوؤك باطل، ملابسك نجاسة، صلاتك مو صحيحة؛ أنت شكوا قل له: أنت شكوا أنت روح أول شيء اعبد ربَّك، بعدين تعالى قُل لي.

يعني: الإنسان يجب أن يكون عاقل، يعرف كيف يُجِيب؟ ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ﴾؛ فلا تكن من أوليائه، كيف تكون من أوليائه؟ تُطيعه. احذَر!

قال لك إبليس: وضوؤك مو صحيح. تقول له: غصبٍ على خشمك وضوئي صحيح.

قال لك: ثوبك فيه نجاسة. قُل له: مو شغلك، ثوبي طاهر.

قال لك: صلاتك مو صحيحة. قُل له: مو شغلك، صلاتي صحيحة. انتهت الإشكاليَّة.

لا تكن من أولياء الشيطان ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

وهنا في قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾؛ أَمْرٌ بالخوف في حال التعارُض أن تُقدِّم خوف الله على الخوف أيش؟ الطَّبعِي، خوف السيوف. هذه مسألة مهمة ينبغي عليك أن تنتبه لها! سبحان الله العظيم!

وَقَوْلِهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [سورة التوبة، من الآية:١٨]. **الْآيَةُ** ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ **الخَشْية**

اكتب: «نوعٌ من أنواع الخوف»؛ ما الفَرْق بين الخشية والخوف؟

✸ **الخوف**: مجرَّدٌ عن التعظيم.

✸ **والخشية**: خوفٌ معه تعظيم.

يعني: العالِم يخشَى الله، فعنده خوفٌ وزيادة؛ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [سورة فاطر، من الآية:٢٨]؛ وهنا في الآية ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾؛ نَفْي الخَشية أعظم م نَفْي الخوف؛ ليش؟ لأنَّها شَمِلَ الأمرين؛ لكن نَفْي الخوف لا يشمل الأمرين.

وأورَدَ «آية العنكبوت» ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [سورة العنكبوت، من الآية:١٠]؛ **وجه الشاهد**: نحسبه مقارنة بين عذاب الله وعذاب الناس؛ فقدَّمَ رضا الناس بأن لا يعذِّب، ونَسِيَ عذاب الله ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾؛ على باله أنَّ تعذيب الناس، واختبار الناس له في نفسه، في ماله، في ولده مثل عذاب الله؛ فكيف إذا ظنَّ أنَّه أعظم فوقَعَ في أمرٍ شِركيّ؟

ثم أورد حديث أبي سعيد، وفيه: (**إِنَّ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ**)؛ طبعًا هذا الحديث اختلَفَ العلماء:

في تصحيحه وتضعيفه من وجه.

وفي رَفْعه ووَقْفه من وجه.

والأصوب: أنَّه موقوف، والمُصنِّف قال: (**عَنْ أَبِي سَعِيدٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ **مَرْفُوعًا**)؛ لأنَّه رُوِيَ مرفوعًا؛ فذَكَرَه مرفوعًا، وإلَّا فالأصح أنَّه موقوف، ثبَتَ عن ابن مسعودٍ مثله.

(**أَنْ تُرْضِيَ النَّاسَ بِسَخَطِ اللهِ**)؛ الله! كيف تُرضِي الناس بسخط الله؟ الناس يقولون لك: لا تُصلِّي الجماعة. تقول لهم: حاضر، عشان رضاكم ما أصلِّي الجماعة.

(**وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللهِ**)؛ كيف تحمدهم على رزق الله؟ الرِّزق من الله هو سبب. تقول له: شكرًا ما قصَّرْتَ، والله لو مو أنت ما جاني شيء. أعوذ بالله! شوا كلام هذا، خطير هذا!

(**وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللهُ**)؛ تقول: فلان قطَعَ رِزقِي. مسكين أنت! مين يقطع رِزقك؟! هذا ما هو إلَّا سبب؛ كيف تجعل السبب تُعلِّق عليه هذا الأمر؟ الصِّلة والقَطْع عند الله ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ﴾ [سورة فاطر، من الآية:٢]؛ الأمر عند الله.

(**إِنَّ رِزْقَ اللهِ لَا يَجُرُّهُ حِرْصُ حَرِيصٍ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةُ كَارِهٍ**)؛ الله أكبر! (**إِنَّ رِزْقَ اللهِ**)؛ قد ذكرْتُ هذا الحديث في كتاب «الرِّزْق»، ووجهه: أنَّ الإنسان يجرِي وراء الرِّزق بلا حِرصٍ شديد؛ وإنَّما يتَّخذ الأسباب المباحة وخلاص.

ثم أورد حديث عائشة -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا-، وفيه: (**أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ**: «**مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ**)؛ الله أكبر (**الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ؛ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ**)؛ أشهَد بالله... أشهد بالله... أشهد بالله أنَّ هذا واقع وربِّ الكعبة.

والله أنِّي أذكُر أول ما بدأتُ أنِّي أرفع يديَّ كان عُمري ١٥ سنة، سنة ٨٤، كم من الناس كانوا يُعلنون العَداء لي والله، ويتكلَّمون فيَّ وفي عِرضِي وأنا صغير، وأتحمَّل؛ لكن والله ما أعلم أحدًا منهم الآن الأحياء منهم والأموات إلَّا وماتوا وهُم راضُون عنِّي؛ ما هو السبب؟

عليك بالتماس رضا الله، التمِس رضا الله؛ فالله عَزَّوَجَلَّ إذا رَضِيَ عنك ما عليك، لو سَخِطَكَ أهل الأرض كلُّهم أيش يضرُّك؟ سؤال؛ والله لا يضرُّك شيئًا.

(مَنِ الْتَمَسَ رِضَا اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ؛ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسَ)؛ نسأل الله أن يُعِيننا على هذا الأمر.

(وَمَنِ الْتَمَسَ رِضا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ؛ سَخِطَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ».

رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ»).

هذا الحديث -أيُّها الإخوة- والله من أشدِّ الأحادِيث عليَّ، أقول لكم إيَّاها بكل صراحة، وإنَّ من أعظم ما أخافه أن يُوقفني الله عَزَّوَجَلَّ وأن يسألني: لماذا لم تقُل كذا؟ لماذا سكتتَ عن كذا؟ هذا والله أمر شديد؛ فهذا باب يجب على الإنسان أن يكون فيه حريصًا، يُقدِّم رضا الله جَلَّوَعَلَا على رضا كل شيء. الله أكبر!

المتن:

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: **فِيهِ مَسَائِلُ:**

- **الْأُولَى: تَفْسِيرُ آيَةِ «آلِ عِمْرَانَ»**.

- **الثَّانِيَةُ**: تَفْسِيرُ آيَةِ «**بَرَاءَة**».
- **الثَّالِثَةُ**: تَفْسِيرُ آيَةِ «**الْعَنْكَبُوتِ**».
- **الرَّابِعَةُ**: أَنَّ الْيَقِينَ يَضْعُفُ وَيَقْوَى.
- **الْخَامِسَةُ**: عَلَامَةُ ضَعْفِهِ وَمِنْ ذَلِكَ هَذِهِ الثَّلَاثُ.
- **السَّادِسَةُ**: أَنَّ إِخْلَاصَ الْخَوْفِ لِلَّهِ مِنَ الْفَرَائِضِ.
- **السَّابِعَةُ**: ذِكْرُ ثَوَابِ مَنْ فَعَلَهُ.
- **الثَّامِنَةُ**: ذِكْرُ عِقَابِ مَنْ تَرَكَهُ.

الشرح:

الله أكبر!

المتن:

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى:

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [سورة المائدة، من الآية:٢٣].

وَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾ [سورة الأنفال، من الآية:٢]. الْآيَةَ.

وَقَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾ [سورة الأنفال، الآية:٦٤].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [سورة الطلاق، من الآية:٣].

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:١٧٣]؛ **قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **حِينَ قَالُوا:** ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ [سورة آل عمران، من الآية:١٧٣]. الْآيَة. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

الشرح:

مناسبة ذِكْر «باب التوكُّل» بعد «باب الحب والخوف» ظاهر؛ لأنَّ التوكُّل عملٌ من أعمال القلب كالحُبِّ والخوف.

ما هو التوكُّل؟

التوكُّل عند أهل السُّنَّة والجماعة: بَذْل السبب، واعتماد القلب على خالِق السبب. هذا هو حقيقة التوكُّل؛ بَذْل السبب، واعتماد القلب على خالِق الأسباب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

يعني مثلًا: أنت تريد أن تنام، لكي يأتِيك النوم تبذُل الأسباب؛ لا تشرب القهوة، تنام في مكان هادئ، ثم تضع يمينك وقلبك مُعلَّق أنَّ الله إذا شاء أن تنام تنام، وتسأله ذلك ثم تطلُب النوم من الله عَزَّوَجَلَّ.

مثالٌ آخر: عندما تجُوع فأنت تبذُل السبب، فتأتي بالطعام لتُذهِبَ هذا الجوع، فتُسمِّي وتأكُل وقلبُك مُعلَّقٌ بالله عَزَّوَجَلَّ أنَّه إن شاء جعَلَ لك الشَّبع، وخَلَقَ في قلبك ونفسك الشبع؛ وإلَّا فهو قادرٌ أن يسلبك الشبع فتأكُل ولا تشبع.

عندك مُعاملة ما تنتهِي أو تعثَّرَتْ؛ فتبذُل الأسباب المباحة شرعًا، ثم تسأل الله التيسير.

هذا حقيقة التوكُّل، ومتى ما تعلَّقَتْ القلوب بالأسباب انتَفَى التوكُّل. انتبه! فإذا انتَفَى التوكُّل هل ينتفِي الإيمان؟ يعني بمعنى: أنَّ القلب إذا تعلَّق بالسبب هل ينتفِي الإيمان؟

الجواب: لا. ليش؟ لأنَّ التوكُّل الذي ينتفِي معه الإيمان هو التوكُّل على المعبودات الباطلة (الأصنام، والأوثان، وغيرها)، يقول: السيد البدوي سيقضِي حاجتِي. مثلًا.

السيدة زينب راح ترزُقني الولد. مثلًا.

هذا توكُّلٌ شِركيٌّ.

أمَّا إذا تعلَّق القلب بالسبب ولم يتعلَّق بالمعبودات الباطلة؛ فهذا ليس شِركًا ولا كُفرًا؛ ماذا نُسمِّيه؟ نُسمِّيه «غفلةً، جهلًا»، نُسمِّيه «نوع كُفرٍ أو نوع شِرْكٍ»؛ لكن لا نسمِّيه «أكبر». فهذه قضية مهمة انتبهوا لها!

التوكُّل: اعتماد القلب على غير الله. هذا كُفرٌ وشِرْك. انتبه!

أمَّا عدم وجود الاعتماد أصلًا، أو التغافُل عنه أصلًا. هذا لا يسمَّى «كُفرًا ولا شِركًا»؛ وإنَّما يسمَّى «غفلةً وجهلًا».

مثل: إنسان في جيبه الدنانير، وين رايح؟ رايح أشترِي -مثل ما قال جحا- حمار -أعزَّكم الله-. قال له: قُل: إن شاء الله.

قال: ما يحتاج؛ الدنانِير في جيبي والحمار في السوق؛ ليش أقول: إن شاء الله.

الآن غفَلَ عن ماذا. عن التوكُّل، ونظَرَ إلى ظاهر الأسباب، وغاب عن عِلمه بسبب الغفلة أنَّه يمكن أن يوجد مانع، غاب.

فذهب فلمَّا رأى الحمار اللي يريد ينظُر أين الفلوس؟ غير موجودة، فلمَّا رجَعَ قالوا: أين الحمار؟ قال: سُرِقَ الفلوس إن شاء الله. الآن إن شاء الله؟! قُضِيَ الأمر.

إذًا... لا بد أن تنتبه! لا تكن غافلًا؛ كُن متوكِّلًا؛ فالناس ثلاثة أصناف في التوكُّل:

✸ **متوكِّلُون على الله**: وهذا خير الأصناف، قلوبهم مُعلَّقة بخالق الأسباب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

✸ **الصِّنْف الثاني: متغافلُون**: وينقسمون إلى قسمين:

- **متغافلون عن الأسباب**: فهُم المتواكِلون.

ما معنى متغافلون عن الأسباب؟ لا يبذلون الأسباب الشرعيَّة، يقول: الله إذا يبي يطعمني يطعمني، ما راح أمدّ ايدي للصَّحن. هذا غافل عن السبب؛ أيش نسمِّيه؟ متواكِل.

المتواكِل: في واقع الأمر -عياذًا بالله- كأنَّه وإن لم يُصرِّح بلسانه؛ لكن لسان الحال كأنَّه يقول: أنا أريد كرامات الله تظهَر لي... أنا أريد قُدرة الله تظهَر لي.

هذا معناه، إذا أنت تريد نَفْي الأسباب فأنت تريد الكرامات، تريد الآيات. واضح؟

إذًا... المتغافلون ينقسمون إلى قِسمين:

- **متواكلُون**: ومَن هُم؟ الذين تَرَكوا وغَفَلوا عن الأسباب.
- **القسم الثاني: الذين غفَلوا عن خالِق الأسباب**: وهذا...

اكتب: **الأول: المتواكلُون**: عليهم أكثر المتصوِّفة.

وأمَّا القِسم الثاني: المتغافلون عن الله؛ فهُم أكثر أهل الدنيا.

أيش مثال للمتغافلِين من أهل الدنيا؟

خلِّنا نضرب مثال: مثال واقعي حصَلَت معي؛ جاء شخص قال: إن شاء الله التجارة هذه رابحة، وكذا، وأنا درسْتها زين وكذا. قلتُ له: لا تجعل قلبك مُعلَّق بالدراسة؛ يمكن تخسر. هو ما أدري يقصد أو لا يقصد؛ لكن أنا في نظري القاصر أنَّه غافل.

قال: يا شيخ، شنو وجه الخسارة؟ البضاعة أنا بجيبها. قلتُ له: افرض أنَّه غرِقَتْ في البحر وهي جاية من الصين.

قال: لا، أُبشِّركَ؛ في بوليصة تأمين. هذا أنا ما قلتُ له شيء، ولا خطر في بالي أنِّي أقول له شيء؛ لكن قلت له يا أخي، لا تعتمد على الأسباب.

رأيته بعد مدة وإذا الرجل مهموم، سلامات عسى ما شر قال: والله خسرتُ.

ليش يا ابن الحلال؟

قال: البضاعة شُحنَتْ وسُرِقَتْ، وشركة التأمين يقولوا: إحنا ما لنا علاقة بالسرقة؛ إحنا بس ضمنَّا بالشحن.

يعني: شوف الإنسان المتغافل متغافل، لا يجوز. أنت قد تعتقد أنَّك بذلْتَ السبب؛ هناك عِدَّة أسباب أخرى أنت ما تدري عنها. صح ولَّا لا؟ ينبغي على الإنسان يُعلِّق قلبه بخالِق الأسباب.

إذًا... عرَفنا:

القِسم الأول: متوكِّلُون، وهُم أعلَى الأصناف. صح؟

القِسم الثاني: غافلُون.

القِسم الثالث: المتوكِّلُون المُشركون، وهُم الذين يتوكَّلُون على غير الله، المشركون في التوكُّل: الذين يتوكَّلُون على غير الله عَزَّوَجَلَّ.

أورَدَ المصنِّف هذا الباب بالآية وهي قوله جَلَّوَعَلَا: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [سورة المائدة، من الآية:٢٣]؛وقد وردَتْ في مواضِع عِدَّة، وأيش وجه للشاهد من الآية؟ عُمر!

يعني: قد يقول قائل: أنا متوكِّل على الله، متوكِّل على غير الله؛ أيشلون أنت حصرتني أنِّي ما أتوكَّل إلَّا على الله؟ وأيش وجه الشاهد من الآية؟ شوف الآية... شوف الآية! الكتاب مو معك؟

طالب: ..... (٠١:١١:٣٤).

باب ٣٢. ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

طالب: ..... (٠١:١١:٤٠).

أحسنت يا أبو صالح! **وجه الشاهد من الآية:** تقدِيم المعمول يفيد الحصر ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾؛ معناه: لا تتوكَّلوا على غير الله، لا على الأسباب، ولا على مخلوقات، لا تتوكَّلوا على أحد لا مَلَك ولا مَلِك، لا ولِي صالح ولا طالح؛ ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ﴾؛ فتقدِيم المعمول أفاد حَصْر التوكُّل فيه جَلَّ وَعَلَا.

لذلك لا يجوز للإنسان أن يقول: أتوكَّل على النبي. لا يجوز.

كما لا يجوز أن يُصلِّي للنبي لا يجوز أن يتوكَّل على النبي.

كما لا يجوز أن يَذبَح للنبي لا يجوز أن يتوكَّل على النبي.

لهذا قلنا: التوكُّل على غير الله شِركٌ أكبر مُخرِج من الإسلام. انتبه!

مثل الذَّبْح لغير الله شِركٌ أكبر مُخرِج من الإسلام.

مثل الصلاة لغير الله شِركٌ أكبر مُخرج من الإسلام.

وجه الاستشهاد: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾؛ معنى هذا الكلام: أنَّ مَن توكَّل على الله حصَلَ المشروط؛ ما هو؟ الإيمان، حَصَلَ الإيمان له.

وقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [سورة الأنفال، من الآية:٢]؛ أيضًا جاء بتقديم المعمول.

وهنا لا بد أن ننتبه إلى أمر!

كلَّما قَوِيَ الإيمان: كلَّما عَظُمَ التوكُّل على الرحمن.

كلَّما قَوِيَ الإيمان: كلَّما اضمحلَّ النظر إلى الأسباب والتعلُّق بها في قلب المؤمن.

المؤمن لا يقول: خلاص، أنا تزوَّجتُ بيجيني عيال، زوج وزوج يساوي أنجال. لا، قلبه مُعلَّق بالله عَزَّوَجَلَّ.

ثم أورد «آية الأنفال» ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنفال، الآية:٦٤]؛ ما وجه الاستشهاد من الآية؟ وجه الاستشهاد من وجهين بالآية:

الأول: أنَّ الله أخبرَ نبيَّه أنَّه كافِيه النار؛ فمعنى هذا: إذا كان النبي أَمَرَه الله أن يكون كافيه هو الله؛ فغيره من باب أَوْلَى. هذا الوجه الأول.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ﴾؛ فأنت أيُّها المؤمن يجب أن يكون حسبُك الله لأنَّ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إذا خُوطِبَ بشيء فأنت مُخاطَب تبعًا، والخِطاب له أعظم في دلالة الأمر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾؛ لا تلتفِت إلى مَن معك من المؤمنين، ولا إلى الأسباب؛ ابذُل ما تقدر عليه والباقي على الله. هذا الوجه الأول: أنَّ الخطاب ﴿حَسۡبُكَ ٱللَّهُ﴾؛ الله كافِيكَ.

فهو مثل قوله: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥ﴾ [سورة الزمر، من الآية:٣٦]؛ أي: محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ؟

الجواب: بلى، هو كافِيه.

الوجه الثاني من الآية: تكملته ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ أي: ومَن اتَّبعَكَ من المؤمنين حَسْبهم الله.

إذًا... جُملة ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ متعلِّق بأيش؟ ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، معطوف على أيش؟ معطوف على ﴿ٱلنَّبِيُّ﴾؛ «يا أيُّها النبي... يا أيُّها المؤمنون، حَسْبكم الله».

ويجوز أن يكون بدلًا عن «الكاف»: «حَسْبُك الله، وحَسْبُ مَن اتَّبعَكَ من المؤمنين الله»؛ وهذا التفسير أحسن.

وقد غَلِطَ فانتبه! من المفسِّرين مَن ظنَّ أنَّ الجُملة ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾؛ معطوفة على اسم «الله عَزَّوَجَلَّ»؛ فيكون المعنى: حَسْبُكَ الله، وحَسْبُك المؤمنين المتَّبِعين لك. هذا غير صحيح.

مو بأنا اللي أقول: غَلِطَ المفسِّرُون. أنا مو عشان أقول: غَلِطَ المفسِّرون؟ مَن اللي قال: غلط المفسِّرين؟ شيخ الإسلام ابن تيمية. إذا يكفِيكم، إذا ما يكفِيكم أدوِّر لكم غيره. كافِي؟

طالب: .....

الحمد لله!

وأورَدَ «آية الطلاق» وهي قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾ [سورة الطلاق، من الآية:٣]؛ هذا يؤكِّد التفسير أيش؟ الأول، وغلط تفسير المفسِّرين.

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾؛ أي: فهو كافِيهِ.

مفهوم المخالَفة من الآية: مَن يتوكَّل على غير الله فلن يكفِيه؛ ليش ما يكفيه؟ لأنَّ هو مخلوق مثله؛ أيشلون يكفيه. صح ولَّا لا؟ هو عاجز مثلك.

كيف يكفيه؟

كيف يُغنِيه؟

كيف يمنعه؟

كيف يرتِّب النتائج على الأسباب؟

ما يمكن.

ثم أورَدَ حديث ابن عباس، وفيه: **قَالَ:** ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [سورة آل عمران، من الآية:١٧٣]؛ الآية اللي في سورة أيش؟ «آل عمران».

(قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي اَلنَّارِ)؛ طبعًا هنا في النُّسخة مكتوب (صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)؛ الذي أنا أحفظه (إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)؛ من نُسختي اللي كنتُ أحفظها القديمة (عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي اَلنَّارِ).

(وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [سورة آل عمران، من الآية:١٧٣]. اَلْآيَة. رَوَاهُ اَلْبُخَارِيُّ)؛ فيه دِلالة على فَضْل مَن قال: «حَسبُنا الله ونِعم الوكِيل»؛ ما قالها أحدٌ في ضائقةٍ إلَّا فُرِجَتْ، وفي مَظلَمةٍ إلَّا ارتفعَتْ، وفي مَضيقةٍ إلَّا تيسَّرَتْ، وفي عُسْرٍ إلَّا تيسَّر.

المتن:

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: **فِيهِ مَسَائِلُ:**

- **اَلْأُولَى**: أَنَّ اَلتَّوَكُّلَ مِنَ اَلْفَرَائِضِ.
- **اَلثَّانِيَةُ**: أَنَّهُ مِنْ شُرُوطِ اَلْإِيمَانِ.

الشرح:

(أَنَّ اَلتَّوَكُّلَ مِنَ اَلْفَرَائِضِ)؛ أي: من الواجبات، وهذا تمامه، تمام التوكُّل من واجبات الإيمان.

أصل التوكُّل وهو نَفْيُ اعتماد القلب على الأسباب. هذا أصل التوكُّل، هذا من أصل الإيمان.

المتن:

- **اَلثَّانِيَةُ**: أَنَّهُ مِنْ شُرُوطِ اَلْإِيمَانِ.

الشرح:

نعم، إذا كان القلب معلَّق بالسبب فانتَفَى عنه شرط الإيمان.

المتن:

- **اَلثَّالِثَةُ:** تَفْسِيرُ آيَةِ «**اَلْأَنْفَالِ**».

الشرح:

قلنا: إنَّ الصحيح فيها قول مَن؟ قول مَن قال: إنَّ جُملة ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ بدلٌ عن «الكاف» حَسبُك الله وحَسْبُ مَن اتَّبعَكَ من المؤمنين الله.

المتن:

- **اَلثَّالِثَةُ:** تَفْسِيرُ آيَةِ «**اَلْأَنْفَالِ**».
- **اَلرَّابِعَةُ:** تَفْسِيرُ اَلْآيَةِ فِي آخِرِهَا.
- **اَلْخَامِسَةُ:** تَفْسِيرُ آيَةِ «**اَلطَّلَاقِ**».
- **اَلسَّادِسَةُ:** عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ اَلْكَلِمَةِ.
- **السَّابِعَةُ:** أَنَّهَا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ فِي اَلشَّدَائِدِ.

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

بَابُ قَوْلِ اَللهِ تَعَالَى:

﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية:٩٩].

وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [سورة الحجر، الآية:٥٦].

وَعَنِ اِبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اَللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ عَنِ اَلْكَبَائِرِ؟ قَالَ: «اَلشِّرْكُ بِاَللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اَللهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اَللهِ».

وَعَنِ اِبْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَكْبَرُ اَلْكَبَائِرِ: اَلْإِشْرَاكُ بِاَللهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اَللهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اَللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اَللهِ. رَوَاهُ عَبْدُ اَلرَّزَّاقِ.

الشرح:

هذا الباب أيضًا مناسبته جليَّة؛ لأنَّها جاءَتْ مع الأعمال القلبية؛ فالأمن من مَكْر الله محلُّه القلب.

وناسَبَ أيضًا ذِكره بعد الخوف والتوكُّل؛ فإنَّ المتوكِّل على الله يخشَى أحيانًا أنَّه مع بَذْل كل الأسباب لا تظهَر النتائج؛ ليش؟ لأنَّه لا يَأمَن من مَكْر الله عَزَّوَجَلَّ.

وكذلك مناسبة ذِكْره بعد الخوف لأنَّ أصل الخوف لا بد منه في الإيمان، وعلامة وجود أصل الخوف: نَفْي وجود الأمن في القلب من مَكْر الله عَزَّوَجَلَّ.

فمعنى هذا: أنَّه متى ما وُجِدَ الأمن من مَكْر الله قبل حصول سببه، ما هو حصول سببه؟ الدخول إلى الجنة، إلى ذاك الحين فالأمن من مَكْر الله من نواقص الإيمان، مو من نواقض الإيمان؛ من نواقص الإيمان.

لذلك قال: **قَوْلِ اَللهِ تَعَالَى:** ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [سورة الأعراف، الآية:٩٩]؛ فالمؤمن دائمًا في خوفٍ من مَكْر الله

جَلَّ وَعَلَا لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى السيد المُطلَق، يفعل ما يشاء؛ فيخاف المؤمن على نفسه، ولا يأمَن من مَكْره وكَيْده جَلَّ في عُلاه.

والمَكْر والكَيْد إذا أُضِيف إلى الله فلا بد أن تعتقد أنَّ هذا الوَصْف المُضاف يُوصَف الله به منها ما هو كمال، وما هو نقْصٌ من الكيد والمَكْر فالله جَلَّ وَعَلَا لا لا يتصف به.

فمثلًا: المَكْر بمَن لا يمكُر نَقْص لا يُوصَف الله عَزَّوَجَلَّ بذلك؛ لكن الكلام ليس في المَكْر؛ الكلام في الأمن من مَكْر الله عَزَّوَجَلَّ.

والمَكْر -كما تعلمون- هو الحِيلة، وهذه الحِيلة التي تكون في إسقاط العدو، في إسقاط الشخص، في عدم إنجاح الخَصْم له صور متعدِّدة.

بوَّبَ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بآية ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾؛ ولهذا جاء عن السلف: أنَّ أحدهم كان يقول: لو أنَّ إحدَى قدميَّ في الجنة، والآخر في خارج الجنَّة؛ ما أمِنْتُ من مَكْر الله حتى يدخُل الجنة.

وقال عن بعضهم لمَّا رأَى بعض الناس يضحك ملء فمه قال: أَوَتضحَك ملء فمِكَ كأنَّك أمِنْتَ مَكْر الله.

أورَدَ المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: وَقَوْلِهِ: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [سورة الحجر، الآية:٥٦]؛ وهذا من باب الاستدلال بالشيء بضِدِّه.

لاحظ! عندنا أَمْن من مَكْر الله يساوِيه من حيث الدلالة اللغويَّة القريبة: القنوط من رحمة الله؛ كيف يساويه؟ لأنَّ مَن أَمِنَ مَكْر الله -لاحظ- عكسه: مَن يقنَط من رحمة الله.

فعندك شخص آمِن من مَكْر الله، ويفعل المعاصِي، وعندك شخص قانط من رحمة الله لا يتوب؛ فعندك متعاكسان: هذا يُنافي كمال الإيمان، وهذا يُنافِي كمال الإيمان، وقد يكون هذا كُفرًا، وقد يكون هذا كُفرًا. انتبه!

الأمن من مَكْر الله متى يكون كُفرًا؟ هذه مسألة مهمة!

الأمن من مَكْر الله يكون كُفرًا إذا انتَفَى معه الخوف من الله. انتبه!

ومتى يكون القنوط من رحمة الله كُفرًا؟

متى ما انتَفَى من القلب الرجاء، متى ما انتَفَى من القلب النظر أو مشاهدة صفة رجاء الله عَزَّوَجَلَّ. فانتبه يا عبد الله! ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾.

ومفهوم المخالَفة: أنَّ الأمن من مَكْر الله من علامات الخاسِرين معناه: الخوف من مَكْر الله من علامات الفالحِين. واضح؟ مفهوم المخالَفة: أنَّ الخوف من مَكْر الله من علامات المُفلحِين.

﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾؛ **مفهوم المخالَفة**: أنَّ الذي لا يقنَط من رحمة الله فإنَّه هادٍ؛ ولذلك تجده تائبًا توَّابًا أوَّابًا.

ثم أورَدَ حديث ابن عباس: (**أَنَّ رَسُولَ اَللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **سُئِلَ عَنِ اَلْكَبَائِرِ؟ فَقَالَ**: «**اَلشِّرْكُ بِاَللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اَللهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اَللهِ**»)؛ سبحان الله! هذا الحديث عظيم؛ النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذَكَرَ أنَّ اليأس من رَوْح الله؛ ما معنى (**رَوْحِ اَللهِ**)؟

ما يرُوح به على العبد من تغيُّر الأحوال من حسنٍ إلى أحسن، أو من سيِّءٍ إلى سوء، ومن سوءٍ إلى حسن، ومن حسنٍ إلى أحسن، أو العكس. هذا معنى الرَّوْح؛ ما يرُوح الله عَزَّوَجَلَّ على العبد من الأحوال.

(**وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اَللهِ**)؛ فذَكَرَ الأمن من مَكْر الله أنَّه من الكبائر، وقارنه بالشِّرْك لأنَّه مُقارِبٌ له.

ثم أورَدَ حديث ابن مسعود، وفيه: (**قَالَ: أَكْبَرُ اَلْكَبَائِرِ: اَلْإِشْرَاكُ بِاَللهِ، وَالْأَمْنُ مِنْ مَكْرِ اَللهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَةِ اَللهِ، وَالْيَأْسُ مِنْ رَوْحِ اَللهِ**)؛ فذَكَرَ الأمن، والقنوط، واليأس؛ هذه الأمور الثلاثة.

أورده الإمام عبد الرزَّاق الصَّنعاني في مُسنده من قول ابن مسعود.

طالب: .....

لا، هو قال: (**قَالَ**)؛ يعني: ابن مسعود.

الصواب: أنَّه موقوف.

المتن:

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: **فِيهِ مَسَائِلُ:**

- **اَلْأُولَى**: تَفْسِيرُ آيَةِ «**اَلْأَعْرَافِ**».
- **اَلثَّانِيَةُ**: تَفْسِيرُ آيَةِ «**اَلْحِجْرِ**».
- **اَلثَّالِثَةُ**: شِدَّةُ اَلْوَعِيدِ فِيمَنْ أَمِنَ مَكَرَ اَللهِ.
- **اَلرَّابِعَةُ**: شِدَّةُ اَلْوَعِيدِ فِي اَلْقُنُوطِ.

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى:

بَابٌ مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللهِ

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [سورة التغابن، من الآية:١١]؛ قَالَ عَلْقَمَةُ: هُوَ الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ؛ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ **أَنَّ رَسُولَ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **قَالَ: «اِثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ».**

وَلَهُمَا عَنِ اِبْنِ مَسْعُودٍ مَرْفُوعًا: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ».

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ؛ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ؛ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».**

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا اِبْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَى، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ».** حَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ.

الشرح:

هذا الباب مناسب بعد ذِكْر التوكُّل؛ أنَّ الإنسان قد يُصاب في هذه الدنيا ببلاءات؛ ماذا يفعل؟

(**مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللهِ**)؛ وانتبهوا في هذه المرتبة أنَّ الصبر على أقدار الله دليلٌ على كمال الإيمان الواجب، الصبر على أقدار الله دليلٌ على الكمال الواجب ووجوبه من الإيمان.

طيب... الرضا به: دليلٌ على كمال الإيمان المُطلَق.

والشُّكْر على القَدر: أعلى من ذلك.

طيب... والهَلَع والجزَع: من صفات الفَسَقة، ومن صفات الكَفَرة.

إذًا... نعرف الآن الناس:

- **هلوعِين جزُوعِين**: إمَّا فَسَقة وإمَّا كافِرين.
- **صابِرين**: أهل الإيمان.
- **راضِين**: أهل الإخلاص، أهل الإحسان.
- **أكمل من ذلك؛ شاكِرين**: درجة عالية.

أورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ الآية في «سورة التغابُن»: ﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥ﴾ [سورة التغابن، من الآية:١١]؛ فيه دلالة على ثمرة من ثمرات الإيمان بالقدر: هِداية القلب، انشراحة الصدر.

ثم أورد تفسير علقمة (**الرَّجُلُ تُصِيبُهُ الْمُصِيبَةُ، فَيَعْلَمُ أَنَّهَا مِنْ عِنْدِ اللهِ؛ فَيَرْضَى وَيُسَلِّمُ**)؛ فوق الصبر.

ثم أورد حديث مسلم: (**اِثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ**)؛ للحذر أنَّ هذا يُنافِي الصبر، أورَدَ هذا ليش؟ للحذر من هاتَيْن الصفتَيْن؛ فإنَّها من صفات الكُفَّار.

(**الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ**)؛ في أنساب الناس يعني.

(**وَالنِّيَاحَةُ عَلَى الْمَيِّتِ**)؛ والنِّياحة مخالف للصبر.

ثم أورَدَ حديث ابن مسعود في نَفْي الإيمان: (**لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ**)؛ هذه الصور نَفْي الإيمان الواجب.

ثم أورَدَ حديث أنس، وفيه: أنَّ الإنسان ينبغِي أن يعلَم أنَّ البلاءات إذا توالَتْ وهو صابر فَلْيعلم أنَّه على خير.

ثم أورد قول النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: (**عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ**)؛ كلَّما كانت البلايا عليك أكثر كلَّما كان الجزاء أكثر، فيه دلالة على فَضْل الصبر؛ فكيف بالرضا؟ فكيف بالشُّكْر؟

المتن:

أحسن الله إليكم، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى: **فِيهِ مَسَائِلُ:**

- **الْأُولَى**: تَفْسِيرُ آيَةِ «**التَّغَابُنِ**».
- **الثَّانِيَةُ**: أَنَّ هَذَا مِنَ الْإِيمَانِ بِاللهِ.
- **الثَّالِثَةُ**: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ.

- **الرَّابِعَةُ**: شِدَّةُ الْوَعِيدِ فِيمَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ.
- **الْخَامِسَةُ**: عَلَامَةُ إِرَادَةِ اللهِ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ.
- **السَّادِسَةُ**: عَلَامَةُ إِرَادَةِ اللهِ بِهِ الشَّرَّ.
- **السَّابِعَةُ**: عَلَامَةُ حُبِّ اللهِ لِلْعَبْدِ.
- **الثَّامِنَةُ**: تَحْرِيمُ السَّخَطِ.
- **التَّاسِعَةُ**: ثَوَابُ الرِّضَا بِالْبَلَاءِ.

الشرح:

أحسنت!

سبحانك اللهمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلَّا أنتَ، أستغفركَ وأتوب إليك.

❋ المناقشة:

سؤال: .....؟

الضابط ما ذَكَرَه العلماء: المُداراة: أن تبذُل شيئًا من المال لأجل حِفظ دِينك. عرفتَ؟ ويدخُل فيه المعارِيض؛ تُعرِّض لأجل حِفظ نفسك، ولأجل حِفظ مالِك، ولا توافقهم صراحةً.

مثلًا: لو كنتَ في مكان والناس -مثلًا- يبتلُون الناس على القول بخَلْق القرآن؛ فأنت حفاظًا على دِينك اضطررتَ أن تقول: أنَّ التوراة مخلُوق. وأنت تشير إلى أصابعه (ورَّيْتَ)، الإنجيل مخلوق. وأنت تُشير إلى أصابعه، هذه التورية هذا نوع من أنواع المُداراة. واضح؟

إذًا... معنى المُداراة: بَذْل شيءٍ من المال لأجل حِفظ الدِّين، أو التورية لأجل حِفظ الدِّين. واضح؟

أمَّا المُجاراة. هذا اللي تسأل عنه، أو المداهَنة؛ فهذه الموافقة، اللي تقولونه صح، ماشي، ما يهمَّك.

ديموقراطيَّة من الدِّين؟ إي، من الدِّين، ما عندك إشكال.

يجوز الحلف بغير الله. ما تبي تخالفهم. إي، ما في بأس.

تسمع الرجل يقول: ورأس أبوي. تقول: عادي.

هذه اسمها مُداهَنة؛ أنَّك تسكُت، أو أنَّك تُجارِي وتوافق.

سؤال: .....؟

الجواب: لا لا؛ بحسبه، بحسب العمل الذي من أجله داهنَهم وجاراهم.

سؤال: .....؟

الجواب: أنَّ هذا يدخُل في الخوف الذي يكون فيه تَرْك الأمر الواجب لأجل النَّفس والمال.

سؤال: .....؟

الجواب: لا، هي ما تكره، المرأة عندما تكره التعدُّد ما تكره التعدُّد لأنَّ الله شَرَعَه؛ لا هي تكره التعدُّد؛ يعني: هي تكره وجود الضرَّة عليها. بس، هذا أمر لا يُنافِي أصل الإيمان.

سؤال: .....؟

الجواب: معنى التَّقِي يعني: المُداراة مثل ما ذكَرْنا قبل. اتفضل يا أحمد!

سؤال: .....؟

الجواب: يعني: المرأة مطلَّقة وتريد أن تسكُن مع ولدها في دارٍ بمُفردها، وتطلُب لأجل كونها لها الوِصاية على الولد تطلُب السكن والنفقة؟ كذا؟ والمحكمة؟

طالب: .....؟

الشيخ: طيب... والمحكمة تحكُم له أو لا تحكُم؟ للولد.

طالب: .....؟

الشيخ: لا، الحُكم هذا مو مُخالِف للشرع عشان أنت تقول: تحاكُم إلى غير الشرع؛ وين المُخالَفَة للشرع؟ أنَّ القاضي يحكُم بأنَّ يجب عليك أيُّها المُطلِّق أن تُنفق على ولدك. وين المخالَفة للشرع.

طالب: .....؟

الشيخ: ما في مشكلة، شنو أنت المشكلة؟ تسكُن شقة (٠١:٣٨:٣٢) شنو المشكلة؟ حرام؟ مَن قال: إنَّها حرام؟

طالب: .....؟

الشيخ: مَن قال لك: لازم وجود المَحْرَم في السكن؟ منو اللي قال لك هذال الكلام؟! هذا شيء جديد أول مرة أسمعه.

يعني: المرأة الآن، افرض أنَّ امرأة كَبِرَتْ سِن، ما عندها أحد؛ يحرُم عليها تسكُن في الغُرفة هذه، في الدار هذه لأنَّ ما عندها مَحْرَم؟ ما أحد قال به.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه: هل يجوز لها أن تسكُن بمفردها مع عدم رضا أبيها؟ هذه مسألة ممكن أنَّك تسأل عنها؛ أمَّا الحُكم ما له علاقة، الحُكم مُوافق للشَّرع، الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ﴾ [سورة الطلاق، من الآية:٦]، ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾ [سورة الطلاق، من الآية:٧]؛ أيشلون خلَّيتها مخالَفة للشَّرْع؟

طالب: .....؟

الشيخ: يا أخي، تستأذِن ممَّن؟ الآن لا زوج لها ؟؟؟ نعم.

هنا الآن تسال عن هذا الحُكم، ما تقول: مخالِف للشَّرْع.

الآن تسأل عن هذا الحُكم: هل يجوز للمرأة أن تسكُن بمكانٍ وهي مُطلَّقة لا يرضَى أبوها ذلك؟ هنا السؤال الآن. واضح؟ بدون أي تركيبات غير صحيحة؟

هذا السؤال نقول: نعم، الأصل أنَّه لا يجوز للبنت أن تسكُن إلَّا حيث يشاء وليُّها، سواء كان وليُّها أبوها، أو ابنُها، أو أخوها، أو عمُّها؛ تسكن هي في المكان الذي يرَى الولي أنَّه آمَنُ لها، وأحفظ لعِرضِها، وأفضل. واضح؟

لكن إذا رأت هي أنَّ وجودها في البيت مَضرَّةٌ عليها، أو على ولدها؛ لها أن تُصالِح الأب، وتطلُب وتقول: أنا أريد أن أسكُن بمُفردِي لأجل صلاح ابني.

هذا الأمر مباح، هذا يرجع إلى الأحكام العَيْنيَّة.

والله أعلم....

وصلَّى الله على نبيِّنا محمد.